البدائل الصوتية للفونيمات النطعية: التاء والدال والطاء – مقاربة فونولوجية –

د. بوخاري خيرة♥

استلم: 2025 /09/19 مقبول: 01 / 10/ 2025 نشر: 2026/06/15

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-028-002-008

Phonetic alternatives to phonemes: ta, dal, and ta - a phonological approach -

Abstract:

This study presents the effect of phonetic proximity in linguistic structure in changing the phonetic performance of phonetic phonemes in the Arabic language, whether at the level of physiological features (exits), physical features (adjectives), or distinguishing features, and senses the contextual phonetic combinations that occur to them, which shift them to performative phonetic manifestations that are completely different from their original phonetic types, from a modern phonological perspective Within the framework of the data proposed by functional phonology, this is done on the one hand, and on the other hand, based on the classifications of ancient linguists and reciters in the synthetic and performative phonetic studies they presented of contextual verbal manifestations such as assimilation, simile, and others.

♥ جامعة أحمد زبانة، غليزان. البريد الإلكتروني: boukharikhaira31@gmail.com

This study was based on an important problem: What are the most important manifestations of the allophonic change produced by the linguistic context of the vowel sounds (ta, dal, and ta)? What are the factors for this from a modern phonological perspective? What are the most important phonetic explanations provided by ancient linguists and modern phonologists for this?

Keywords: Phonetic alternatives; phonemes: ta, dal, and ta; phonological; approach**.**

ملخّص: تتعرض هذه الدراسة لأثر المجاورة الصوتية في التركيب اللغوي في تغيير الأداء الصوتي للفونيمات النطعية في اللغة العربية سواء على مستوى الملامح الفيزيولوجية(المخارج) أم الملامح الفيزيائية(الصفات) أو السمات التمييزية الفارقة، وتلمّس ما يحدث لها من توليفات صوتية سياقية تنزاح بها إلى مظاهر صوتية أدائية مفارقة تماما لأصنافها الأصواتية الأصلية، وذلك من منظور فونولوجي حديث وفي إطار ما طرحه علم الأصوات الوظيفي من معطيات هذا من جهة ومن جهة أخرى بالاستناد إلى تصنيفات اللغويين القدامى وعلماء القراءات فيما قدموه من دراسات صوتية تركيبية وأدائية لمظاهر كلامية سياقية كالإدغام والمماثلة وغيرها.

وانبنت هذه الدراسة على إشكالية مهمة مفادها: ماهي أهم مظاهر التبدل الألوفوني التي يفرزها السياق اللغوي للأصوات النطعية (الطاء والدال والتاء)؟ وما هي عوامل ذلك من المنظور الفونولوجي الحديث؟ وما هي أهم التعليلات الصوتية التي قدمها علماء اللغة القدامى والأصواتيون المحدثون لذلك؟

كلمات مفتاحيّة: البدائل الصوتية؛ الفونيمات النطعية؛ التاء، الدال؛ الطاء، مقاربة؛ فونولوجية.

1. **مقدّمة:** من الظواهر الفونولوجية المهمة التي شغلت حيزا كبيرا من اهتمام اللغويين قديما وحديثا، تلك التبدلات الألوفونية التي تطرأ على أصوات اللغة العربية عند ورودها في أسيقة صوتية معينة، والمتأمل فيما ألّفه الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه وابن جني، وغيرهم من العلماء يدرك ذلك لا محالة.

كما أسهم علماء التجويد والقراءات فيما بعد بشكل كبير في تناول هذه المسألة وتتبع مسارها، واستجلاء حقيقتها، والوقوف على مظاهرها وقوانينها التي تحكمها ولاسيما في النص القرآني وأسيقته المتعددة، مما جعلهم يتوصلون إلى نتائج جد دقيقة ومتميزة توافق اللغويين حينا وتخالفهم حينا آخر.

وفي ضوء هذا المعطى، أصبح لدينا مادة علمية رائدة وخصبة في هذا المجال، استند إليها علماء الأصوات المحدثون في دراستهم لهذه الجوانب الفونولوجية، ومعرفة حقيقتها، ورصد قوانينها التي تضبطها.

وصوب هذا المنحى، جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على مسألة (الأصوات النطعية) (الطاء والدال والتاء)، وتتبع أهم تلك البدائل الصوتية التي يفرزها السياق لهذه الفونيمات العربية في موقعياتها التركيبية المختلفة، وأهم الأصول والضوابط التي انبنى عليها هذا التوليف الألوفوني في هذه الصوامت، وما يطرأ عليها من تبدّلات سواء على مستوى المخرج أم الصفة أم كليهما، في ضوء معطيات الدرس الفونتيكي والفونولوجي الحديث، واستنادا إلى ما توصل إليه

أسلافنا القدامى من لغويين وعلماء التجويد في هذا المضمار من نتائج وحقائق.

وانبنت هذه الدراسة على إشكالية مهمة مفادها: ماهي أهم مظاهر التبدل الألوفوني التي يفرزها السياق اللغوي للأصوات النطعية (الطاء والدال والتاء)؟ وما هي عوامل ذلك من المنظور الفونولوجي الحديث؟ وما هي أهم التعليلات الصوتية التي قدمها علماء اللغة القدامى والأصواتيون المحدثون لذلك؟

وفي ظل هذا المسعى، تهدف هذه الورقة البحثية إلى رصد تلك التغيرات الألوفونية التي تطرأ على الفونيمات النطعية في أسيقتها الصوتية، والكشف عن تلك القوانين التي تضبطها من منظور الدراسات الصوتية الحديثة، وذلك بالاعتماد على المنهج الوصفي المقترن بآلية التحليل، وذلك حسب ما تقتضيه فكرة البحث، وللإجابة عن الإشكالية المحورية والإلمام بجوانبه المختلفة.

2. ماهية التبدل الصوتي: كما هو معلوم، أنه في الدرس الفونولوجي الحديث، ظهرت عدة مصطلحات تتعلق به، من بينها الفونيم والألوفون فالأول منهما هو موضوع علم الأصوات الوظيفي(الفونولوجيا)، ومجال اشتغاله وهو عبارة عن أصغر وحدة صوتية يصل إليها التقطيع ويؤدي إلى وظيفة معينة، أو هو بصيغة أخرى (صوت تجريدي لا يتحقق وجوده الموضوعي في الخارج)[1]، وإنما تظهر وظيفته داخل التركيب وما يؤديه من تغيير على مستوى المعنى.

أمّا الألوفون، فهو ذلك المظهر المادي الفيزيائي للفونيم القابل للقياس، وجمعه ألوفونات، وهي تلك البدائل أو(التنوعات الصوتية التي

يتحقق بها الفونيم، وذلك يتوقف على موقع الصوت في الكلمة، وعلى الأصوات المجاورة له، مثل مجيئه قبل صامت أو صائت أو وروده بين صائتين أو كونه ملاصقا لصوت مجهور أو لآخر مهموس)[2]، ومثال ذلك فونيم النون الساكنة في اللغة العربية حيث يتحول من ملمح فيزيولوجي إلى آخر عند مجاورته لصوامت معينة، حيث يصبح شفويا إذا اقترن بصوت الباء الشفوي، ولهوي إدا جاوره القاف اللهوي، وحلقي إذا جاء بعده صوتا من الأصوات الحلقية كالعين أو الغين، وغيرها من الفونيمات التي تغير مخرجه في السياق اللغوي.

والألوفون تعريب للمصطلح الأجنبي (Allophone)، الذي ترجم عند المحدثين بعدة مقابلات عربية منها، التنوع الفونيمي، المتغير السياقي التنوع الصوتي، البديل الصوتي، أعضاء الفونيم، تلوين صوتي، وغيرها.

3 تعريف النطع:

1.3 لغة: للوقوف على معنى كلمة (نطع)، كان لزاما علينا الرجوع إلى المعاجم اللغوية المتخصصة، من ذلك (معجم مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس (ت395ه)، الذي ذكر فيه أن «النون والطاء والعين أصل يدل على بسْط في شيء وملامسة، منه النِّطع، ويقال له النَّطع، وهو مبسوط أملس. والنِّطع: ما ظهر من غار الفم الأعلى، وهو كذلك والتنطُّع في الكلام: التعمُّق، وهو قياسه؛ لأنه يتبسَّط فيه»[3].

وورد في القاموس المحيط للفيروزآبادي (ت817ه)، أن «النّطع: بالكسر وبالفتح وبالتحريك، وكعِنَب: بساط من الأديم، ج: أنْطَاع، ونُطُوع وبالكسر، وكعنب: ما ظهر من الغار الأعلى، فيه آثار كالتحريز، ج: نُطُوع. والحروف النّطعية: طَدَت»[4].

وبناء على هذا المعطى، يتبين لنا أن مصطلح النطع اقترن في اللغة العربية بمعنى ما ظهر وبان من ظهر الغار الأعلى؛ أي ذلك الجانب الذي تتواجد فيه آثار التحريز من سقف الحنك الأعلى ولا يخرج عنه البتة.

2.3 اصطلاحا: يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170ه)، أول علماء العربية الذين وظفوا مصطلح النطع والنطعية في معجمه (العين) وذلك أثناء حديثه عن مخارج الحروف العربية، وقد أطلق هذه التسمية على الحروف الثلاثة (الطاء والدال والتاء)، ولعل هذا ما يتبدى في قوله: «والطاء والتاء والدال نطعية؛ لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى»[5]، أي حدوثها المخرجي يكون على مستوى النطع (الأسنان واللثة).

وفي اصطلاح المحدثين، نجد أن مخرج النّطع يقابله عند المحدثين المخرج(المحبس) الأسناني اللثوي، «وفيه يعتمد طرف اللسان على باطن الثنايا العليا، ومقدمه على اللثة، فإن كان هذا الاعتماد قويا وكان الانسداد كاملا حدثت أصوات الضاد والدال والطاء والتاء»[6].

كما نلفي بعض المحدثين يعزون علة تسميتها بالأصوات النطعية إلى محاذاة مخرجها لنطع الغار الأعلى وليس لخروجها من النطع كموضع حدوث لها، ولعل هذا ما يبين عنه قول إبراهيم أنيس: «أما تسميتهم الدال والطاء والتاء بالأصوات النطعية فيبدو أن هذا المصطلح قد جانبه التوفيق؛ لأن النطع –كما شرحته المعاجم وكما يفهم من كلام هؤلاء العلماء– هو أقرب جزء من الحنك الأعلى إلى أصول الثنايا(...) وتدل التجارب الحديثة على أن طرف اللسان مع هذه

الأصوات يتصل بأصول الثنايا: بل معظم الثنايا من الداخل، فهي أصوات أسنانية لثوية»[7].

4. التبدل الصوتي بين الدرس اللساني الحديث والدراسات اللغوية التراثية: ظهر الاهتمام بمسألة التبدل الصوتي في الفونيمات العربية عند العلماء اللغويين المحدثين، فيما سموه بالتماثل، أو المماثلة الصوتية (Assimlation)، وتتمثل في تلك «التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته–ولا نقول ملاصقته–لأصوات أخرى»[8]، ويحدث التماثل بين الفونيمات العربية عادة «إذا اجتمع في الكلمة صوتان يتصف كل منهما بصفة تناقض صفة الآخر، كالجهر والهمس، أو الإطباق والفتح، وكان في تحقيق الصفتين المتناقضتين للصوتين المتجاورين مشقة وعسر، مال المتكلم إلى خلع صفة أحدهما على الآخر، ونقول عندئذ: إنه حصل تماثل بين الصوتين»[9].

وبهذا تكون المماثلة، ظاهرة صوتية سياقية ترتبط بشكل كبير بموقعية الصوت في التركيب ومدى تأثره بما يجاوره، شرط أن يكون الفونيم الأول ساكنا والثاني متحرّكا، وقد نوّه إبراهيم أنيس إلى فاعلية الأداء الكلامي في الأصوات وهذا ما نلمسه في قوله: «تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام، فحين ينطق المرء بلغته نطقًا طبيعيًّا لا تكلُّف فيه، نلحظ أن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في البعض الآخر، كما نلحظ أن اتصال الكلمات في النطق المتواصل قد يخضع أيضًا لهذا التأثر، على أن نسبة التأثر تختلف من صوت إلى آخر... ومجاورة الأصوات بعضها لبعض في الكلام

المتصل، هي السر فيما قد يصيب بعض الأصوات من تأثر....والأصوات في تأثُّرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينهما؛ ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج، ويمكن أن نسمي هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة»[10]؛ لأن هذا الأخير يستدعي «أن تتسق الحروف بعضها مع بعض؛ بحيث إذا تجاور حرفان متنافران يؤدي نطقهما إلى ثِقَلٍ ما، فلا بد من تغيير أحدهما؛ لتخف الكلمة على اللسان، ويسهل النطق بها»[11]، وهذا القانون يشمل أغلب اللغات الإنسانية.

وقمين بنا ههنا، الإشارة إلى أن علماء العربية نحوا هذا المنحى أيضا مراعاة لقوانين الأداء الكلامي الفصيح، وفي ظل حرصهم « على مبدأ الانسجام الصوتي الذي يضمن صفاء الحروف وحسن الأداء، مما يؤدي إلى وجود إيقاع لفظي قائم على الخفة ونبذ الثقل ومراعاة قاعدة الجهد الأدنى»[12]، أثناء عملية الكلام، فاهتموا بهذه المسألة –ولاسيما في الأصوات النطعية– أيّما اهتمام، وقدموا لها الكثير من التعليلات والتفسيرات الصوتية والنظمية لذلك ضمن باب الإدغام كما هو الحال عند سيبويه (ت180ه) فيما سماه بالمضارعة الصوتية والإدغام، والفراء (ت207ه) بالتقريب الصوتي، وابن جني (ت392ه) بالتقريب في معرض حديثه عن الإدغام الأصغر، والتجنيس عند ابن يعيش (ت643ه)، والمناسبة عند الاستراباذي (ت715ه)، وغيرها من المصطلحات في هذا الباب من التنوع الصوتي الذي يولّده السياق للفونيمات العربية.

أما القراء وعلماء التجويد، فعالجوا هذه المسألة ضمن ما سموه (باللحن الخفي)، وهو ما يرتبط بالخطأ في النطق بالأصوات في سياق

التركيب في النص القرآني، ولعل هذا ما أبان عنه ابن الجزري (ت833ه) من خلال قوله: «فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته موفٍ حقه، فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب؛ لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد، وذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة، بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب، وقوي وضعيف، ومفخم ومرقق، فيجذب القوي الضعيف، ويغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه، إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب»[13]؛ لأن الأصوات في حالة التركيب تتخلى عن ملامحها الأصلية، وتكتسب هوية الفونيمات المحاذية لها في السياق.

وهذا ما يقابل المماثلة عند الأصواتيين المحدثين، وهي نوع من الانحراف والعدول عن صفات الحروف الأصلية أو مخارجها في درج الكلام وأسيقته المختلفة، وهذا ما ستحاول هذه الدراسة استجلاءه في الحروف النطعية (الطاء والدال والتاء) وما يلحقها من تغير في خصائصها الفونتيكية عبر ورودها في أسيقة الكلام المختلفة، حيث توجهها إلى ملامح عرضية لتحقيق الانسجام الصوتي دون أي تغير في معاني الكلمات، وهذا ما أفاض سيبويه الحديث فيه في "باب الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا"[14] ومن تبعه من العلماء.

والمماثلة نوعان، نذكرها على النحو الآتي:

أ/المماثلة التقدمية (التماثل التقدمي): وفيها يتم التأثير من الصامت الأول (السابق) إلى الصوت الثاني اللاحق له.

ب/المماثلة الرجعية (التماثل الرجعي): وهي عكس النوع الأول، حيث ينتقل التأثير من الفونيم الثاني (اللاحق) إلى الفونيم الأول السابق له في المجاورة السياقية.

وتكمن وظيفة المماثلة الصوتية في أنها تؤدي إلى انصهار الفونيمات المتجاورة في التركيب في بعضها البعض من أجل تحقيق الانسجام الصوتي في السلسلة الكلامية، وتيسير عملية النطق على المتكلم، والاقتصاد في الجهد العضلي؛ «لأن أصوات اللغة تختلف فيما بينها– كما نعرف–في المخارج والشدة والرخاوة والجهر...، فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد، أو من مخرجين متقاربين، وكان أحدهما مجهورا والآخر مهموسا مثلا، حدث بينهما شد وجذب، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته، ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها أو في بعضها»[15]، ومما هو شائع أن هذا التماثل لا يحدث إلا بين الفونيمات التي اتحدت في المخرج أو تقاربت.

5. أهم التبدلات الألوفونية للأصوات النطعية في اللغة العربية:

أ/ التبدل الألوفوني بين الدال والتاء:

مما لا ريب فيه، أن صوتا الدال والتاء يشتركان في موضع حدوثهما (المحبس)، وفي صفة الشدة(الانفجار)، مما يسهم في حدوث التغاير(التوليف الصوتي) فيما بين هذين الفونيمين في الكثير من الأسيقة اللغوية، أثناء تأدية السلسلة الكلامية من قبل الناطقين بها فنلفي تغيرا ألوفونيا فيهما حيث تتحول الدال إلى تاء والتاء إلى دال ويعد سيبويه من أوائل العلماء القدامى الذين طرقوا الحديث عن هذا التجلي الألوفوني الذي يمس الأصوات النطعية، وذلك في معرض حديثه عن قضية مهمة في الأداء الصوتي للغة العربية، ألا وهي قضية

PP. 207-228
ISSN : 1112-3575 EISSN : 6545-2600

الإدغام الصوتي، وفي ذلك ينوِّه بقوله: «والتاء والدال سواء، كل واحدة منهما تدغم في صاحبتها حتى تصير التاء دالا والدال تاء؛ لأنهما من موضع واحد، وهما شديدتان ليس بينهما إلا الجهر والهمس»[16]؛ بمعنى لا يفرق بينهما لقربهما إلا ملمح الجهر في الدال والهمس في التاء، ومن ذلك أيضا ما ذكره ابن جني من قول بعض العرب «في وَتِد: ودّ»[17].

ويتبدى من كلام سيبويه أن فونيم التاء والدال تحدث بينهما مماثلة رجعية، وذلك نحو: انقتّلك، في: انقدْ تِلك، وأيضا في قولك: انعدّلاما في: انعتْ دُلاماً.

ب/ تبدل الطاء الألوفوني مع التاء والدال: يحدث تغاير صوتي في فونيمي التاء والدال مع الطاء، وهذا ما نوّه إليه سيبويه في قوله: «الطاء مع الدال كقولك: اضبدَّلماً؛ لأنهما من مخرج واحد، وهي مثلها في الشدة، إلا أنك قد تدع الإطباق على حاله؛ لأن الدال ليس فيها إطباق، فإنما تغلب على الطاء لأنها من موضعها، ولأنها حصرت الصوت من موضعها كما حصرته الدال، فأما الإطباق فليست منه في شيء، والمطبق أفشى في السمع من غير المطبق، فكيف تغلب التاء والدال على الطاء، إلا إن إذهاب الإطباق مع الدال أمثل قليلا؛ لأن الدال كالطاء في الجهر والتاء مهموسة، وكل عربي، وذلك: اُنقتّوْأما»[18] وهنا حدث تماثل رجعي بين الطاء والدال في(اضبدَّلماً) التي أصلها: اضبطْ دلماً، فالدال أثرت في الطاء تأثيرا رجعيا وحولتها إلى جنسها فاتحدت معها وأدغمت فيها؛ لأنهما من نفس المخرج (النطع / طرف اللسان والثنايا)، ويختلفان في الصفة الدال منفتحة والطاء مطبقة مفخمة مستعلية.

وكذلك الحال بين الطاء والتاء، في كلمة (انقُتّوأماً)، وأصلها: انقطْ توأماً، أثرت التاء المهموسة المرققة في الطاء المطبقة المفخمة تأثيرا رجعيا فحولتها إلى جنسها وأدغمت فيها والشدة دلت على ذلك، وهنا كذلك مماثلة رجعية، ومن أمثلة ذلك في القرآن، قوله تعالى:﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ المائدة:28، وقوله أيضا:﴿أَحَطْتَ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ النمل:22، وهنا ورد إدغام ناقص بين الطاء والتاء، وعلة ذلك أن الطاء أكثر قوة وفخامة من التاء، ومن هنا جاء الإدغام ناقصا إبقاء على إطباق الطاء وقوتها في النطق وتحقيقا للاعتدال في بنية الكلمة.

ج/التبدل الألوفوني للدال والتاء مع الطاء: وفي هذا المقام، يؤثر فونيم الطاء المطبق المفخم في الدال المنفتحة الشديدة والتاء المرققة تأثيرا رجعيا كذلك، فتحولهما إلى ألوفون مماثل لها في النطق(طاء فرعية مطبقة)، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿لقدْ طَّبَعَ اللهُ﴾، النساء:55 وقوله:﴿وقالتْ طَائِفةٌ﴾، آل عمران:72، ولعل هذا ما أشار إليه سيبويه في قوله: «وتصير الدال مع الطاء طاء، وذلك: انقطالبا، وكذلك التاء وهو قولك: انعتطالبا؛ لأنك لا تجحف بهما في الإطباق ولا في غيره»[19] وهنا مماثلة رجعية، فانقطَّالبًا أصلها: انقدْ طالبًا، وانعطَّالبًا أصلها: انعتْ طالبًا، حيث أدمجت كل منهما اندماجا كليا في الطاء، فلم يبق سوى ملمح الإطباق لقوته ووضوحه في السمع.

د/ التبدل الألوفوني للطاء والدال والتاء مع الصاد والزاي والسين: يحدث في العربية تنوع ألوفوني بين الأصوات النطعية والأصوات الأسلية (الصاد والزاي والسين)، ويعزى ذلك إلى قرب مخرجيهما مما يحدث تجانسا صوتيا بين فونيمات المجموعتين وذلك شائع في لغتنا وهذا ما يتبدي في قول سيبويه: «والطاء والدال والتاء

PP. 207-228
ISSN : 1112-3575 EISSN : 6545-2600

يدغمن كلهن في الصاد والزاي والسين لقرب المخرجين؛ لأنهن من الثنايا وطرف اللسان وليس بينهن في الموضع إلا أن الطاء وأختيها من أصل الثنايا، وهن من أسفله قليلا مما بين الثنايا، وذلك قولك: ذهبسّلمى، وقسّمعت، فتدغم واضْبزَّردة، وانعصّابرا، فتدغم »[20]، والأصل فيها على النحو الآتي: ذهبتْ سلمى، وقدْ سمعت، واضبطْ زردة، وانعتْ صابرا.

ففي هذه الأمثلة المستوحاة من اللهجات العربية يتجلى ذلك التبدل الصوتي بين الفونيمات النطعية (التاء والدال والطاء) والأسلية، التي تمثلها كل من السين في المثالين الأولين، والزاي والصاد في المثالين الثالث والرابع، حيث أثرت كل من الزاي الشديدة المجهورة والصادة المطبقة المستعلية في الطاء والتاء تأثيرا رجعيا فحولتاهما إلى فونيمين مماثلين لهما، نظرا لقرب مخارجها(الأسلة/النطع)، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وهم يَخصِّمُونْ﴾ يس: 49 قُرِءت بتشديد الصاد، وذلك بإدغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها، وأصلها يخْتَصمون، وعلة الإدغام ههنا، التعادل بين التاء والصاد في الهمس إلا أن فونيم الصاد يقوى على التاء بالصفير والإطباق والاستعلاء والتفخيم فحسن الإدغام لذلك؛ لأنه أبدلت التاء صوتيا عند الإدغام بحرف أقوى منها، أي نقلها الإدغام من الضعف إلى القوة وذلك يحسن في قراءة القرآن الكريم.

وشبيه ذلك أيضا، تأثر الصاد بالدال في بعض اللهجات العربية تأثرا رجعيا، فتتحول إلى زاي، مثل قولهم: يزدر في يصدر، ومزدر في مصدر، وغيرها من الأمثلة التي تتخلى فيها الصاد عن إطباقها لمجانستها للدال المنفتحة، فتصير زايا منفتحة، وهنا هي عبارة عن

ألوفون فرعي يتحد مع الدال في صفة الانفتاح ومع الزاي في مخرج الأسلة(بين الثنايا وطرف اللسان).وكذلك تتبدل السين إذا وقعت قبل الطاء إلى صاد في بعض القراءات القرآنية، ففي رواية ورش عن نافع تقرأ كلمة مسيطر في قوله تعالى: ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ الغاشية: 22 بصاد مفخمة بدل السين المرققة، وهنا كذلك تأثير رجعي من الطاء المفخمة إلى السين المرققة مما حولها إلى فونيم الصاد الفرعي الذي يجمع بين ملمح الإطباق الذي استمدته من الطاء ومخرج الأسلة المأخوذ من السين.

ونظير ذلك أيضا، تأثر الدّال بالصّاد المطبقة تأثرا رجعيا فتتماثل معها وتتحول إلى حرف من جنسها وتدغم فيها، كقوله تعالى: ﴿ولقدْ صَرَّفنا في هَذَا القُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَل﴾ الكهف: 54.

ه/ التبدل الألوفوني للطاء والدال والتاء مع الضاد: من مظاهر التبدل الصوتي للأصوات النطعية في سياق الكلام، تحول هذه الأصوات إلى ضاد إذا تجاورت معها في أسيقة الكلام المختلفة، وهذا ما أشار إليه سيبويه بقوله:« وقد تدغم الطاء والتاء والدال في الضاد؛ لأنها اتصلت بمخرج اللام وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول ما للام فوقه من الأسنان، ولم تقع في الثنية موضع الطاء لانحرافها؛ لأنك تضع للطاء لسانك بين الثنيتين، وهي مع ذا مطبقة، فلما قاربت الطاء فيما ذكرت لك أدغموها فيها كما أدغموها في الصاد وأختيها، فلما صارت بتلك المنزلة أدغموا فيها التاء والدال، ...وذلك قولك: اضبضَّرمة، وانعضَّرمة»[21] والأصل فيهما: اضبطْ ضرمة، وانعتْ ضرمة، ونوع الإدغام هنا، هو إدغام المتجانسين، فالطاء والتاء تأثرتا بالضاد المفخمة المطبقة تأثيرا رجعيا فتماثلا معها وصارا من جنسها

فأدغمتا فيها، مما ولد ألوفونا (فونيما فرعيا سياقيا) هو الضاد المطبقة، ومثال ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ البقرة:108، وقوله: ﴿ولقدْ ضَرَبْنَا للنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ الزمر:27 وهنا أيضا تماثل رجعي إذ أثرت الضاد المطبقة في الدال المنفتحة وحولتها إلى جنسها فانصهرت فيها واتحدت معها لتولد لنا فونيم الضاد المفخم، وهذا إدغام حسن عند القراء؛ لأنه تحول فيه الصوت من الضعف إلى القوة.

و/ التبدل الألوفوني للطاء والدال والتاء مع الشين: وقد نوّه إليه سيبويه في قوله: «وتدغم الطاء والدال والتاء في الشين لاستطالتها حين اتصلت بمخرجها، وذلك قولك: احفشَّبْتًا، وانعشَّبْتًا، وانقشَّبْتًا»[22]، والأصل فيها: احفظْ شبثًا، وانعتْ شبثًا، وانقُدْ شبثًا، وكذلك قولهم انعشّاكرا: انعتْ شاكرا، وانقُشَّاكرا: انقُدْ شاكرا، وكذلك إدغام الطاء في الشين في قولك: لا تخالشَّرا: لا تخالطْ شرًّا، ومن أمثلة إدغام الدال في الشين في القرآن الكريم، قوله تعالى:﴿ قدْ شَغَفَهَا حُبّاً﴾يوسف:30.وهنا أيضا تماثل رجعي بين الشين المتفشية والدال الشديدة وذلك نظرا لتقارب مخرجيهما، حيث أثرت فيها تأثيرا رجعيا فحولتها إلى شين مثلها وأدغمت فيها تخفيفا للنطق وتفاديا للثقل .

ز/ التبدل الصوتي للثاء والذال مع التاء والدال: من مظاهر التبدل الصوتي في هذه الأصوات، تبدل الثاء مع التاء، حيث تؤثر فيها تأثيرا رجعيا، فتتماثل معها في الصفة وتتوحد معها وتدغم فيها، لتصير ثاء نحو: انعثَّبتا، التي أصلها: انعتْ ثابتًا، وكذلك الحال في الذال والدال حيث يجمعهما تماثل رجعي فتدغم الدّال فيها، فتفرزان ألوفونا فرعيا نحو قولهم: أبعذَّلك في: أبعِدْ ذلك.

ح/ التبدل الألوفوني في تاء افتعل: إن التبدل الألوفوني يلحق بتاء (افتعل) إذا تطابقت مع صوت سابق لها تطابقا نطقيا فيزيائيا(الصفة) لا موضعيا(المخرج)، بحيث يحدث بينهما تماثلا جزئيا تقدميا، فتتحول التاء على إثر ذلك إلى جنس الحرف الذي قبلها من حيث الصفة، أي تتحد مع في الصفة، فيتولد عن ذلك فونيم من نفس مخرجها وصفته من جنس صفة الصوت الذي سبقها في المجاورة، ومثال ذلك، ما ذكره ابن جني في قوله: «إن فاء افتعل إذا كانت زايا قلبت التاء دالا، وذلك نحو: ازدجر وازدهى...وأصل هذا كله: ازتجر وازتهى...ولكن الزاي لما كانت مجهورة وكانت التاء مهموسة، وكانت الدال أخت التاء في المخرج وأخت الزاي في الجهر، قربوا بعض الصوت من بعض، فأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاي، وهي الدال، فقالوا: ازدجر وازدهى»[23]، وهذا يدرج ضمن باب الإبدال الصوتي في حروف العربية.

وكذلك إذا كانت فاء الكلمة التي على وزن"افتعل" حرف دال أو ذال فيحدث بينها وبين التاء تماثلا تقدميا، فتبدل هذه التاء وتتحول إلى دال وذلك نحو: ادّعى واذّكر، والأصل فيهما: ادْتَعَى واتْذَكر، وعلة ذلك أن الدال تتناسب مع التاء في المخرج(النطع) ومع صوتي الدال والذال في الجهر عكس التاء المهموسة التي تخلق نوعا من المشقة والثقل على اللسان، فجيء بالدال والذال تحقيقا للانسجام وسهولة النطق في الوحدات الصوتية في تجاورها في الكلمة الواحدة، وهذا ينطبق على كل مشتقات الكلمة، مثل: ادّعى، يدّعي، ادّعاء، المدّعِي، المدّعَى، ...إلخ.

PP. 207-228
ISSN : 1112-3575 EISSN : 6545-2600

ومن مظاهر ذلك أيضا، تبديل تاء الافتعال بعد حروف الإطباق (الضاد والصاد والطاء والظاء)، حيث يحدث بينها تماثل تقدمي فتتحول التاء المهموسة المرققة إلى فونيم من جنس هذه الصوامت المطبقة، وهو في الغالب الطاء، كما في اِظَّلم واِطَّلع، ويعزى ذلك عند العلماء المحدثين إلى أن «الصامت الأول الصاد/الضاد/الظاء/الطاء، الذي يتميز بصفته التفخيمية قد أثر بشكل مباشر على الصامت الذي يليه(التاء) بسبب المجاورة، فصبغه بصبغته التفخيمية. وحين آل الأمر إلى تأثير الظاء على التاء حولتها إلى طاء، ويبدو إن الإحساس بعسرها في التحقيق النطقي جذبتها نحو رخاوتها وحولتها إلى ظاء أخرى فجاءت الصيغة بظاءين متواليين اندمجتا في الرسم الكتابي بظاء واحد. وكذا الحال مع الصيغة اطّلع»[24]، وهذا كله ينبني على مدى قوة الصوت الأول التي يستمدها من التفخيم والإطباق والاستعلاء، ووضوحه السمعي التي تسهم في محو الصوت الأول وإسقاطه من درج الكلام باستبداله بفونيم من نفس درجة قوته حتى يحقق التكافؤ والاعتدال الصوتي في الوحدات التكوينية للبنية اللفظية، وأمثلته كثيرة في العربية، نحو: اصطبر، اضطرب، اظّلم، اصطحب، اضّجع، وكل ما يشتق منها.

ولا يقف التماثل في تاء افتعل على التماثل التقدمي، وإنما هناك تماثل رجعي فيها إذا اتصلت في السياق بواو أو ياء اتصالا قبليا أي كانت الواو والياء فاء (افتعل) في مثل: اتَّصل –اتَّسع –اتَّسر؛ لأن الأصل فيها: اوْتصل–اوْتسع–ايْتسر فحدث بينهما تماثلا رجعيا حيث أثرت التاء في كل من الواو والياء فحولتهما إلى جنسها، نظرا لصعوبة النطق التي ولدها تقارب المخرج وتنافر الصفة بينهما، فقلبُ

الواو والياء إلى تاء حقق سهولة في النطق وانسجاما صوتيا وخفة على مستوى الكلمة.

والعرب تنحو في كلامها نحو هذا الأسلوب من التماثل بنوعيه(الرّجعي والتّقدمي) في تاء افتعل طلبا للخفة، ودرءا للثقل، كما أنه يحقق« أقصى مراحل التيسير في الجهد العضلي، فحين نصوغ (افتعل)من الفعل ظلم نلحظ أن (اظتلم) قد تجاورت فيها الظاء مع التاء وهما مختلفان في الجهر والهمس والشدة والرخاوة والإطباق والاستفال فقربت مسافة الخلف بينهما لتيسير النطق وأصبح الفعل (اظطلم)، ثم زاد التيسير حين اتحد الصوتان المتجاوران تمام الاتحاد، وأصبح الفعل (اظّلم)، وهكذا تماثل الصوتان، وهو أقصى ما يصل إليه التيسير في عملية المماثلة»[25]، بنوعيها التقدمية والرجعية في اللغة العربية ولهجاتها المختلفة.

وفي سبيل تحقيق المتكلم العربي ذلك على مستوى الأداء الكلامي يجعله ينحرف في أحايين كثيرة عن ملامحها الفونتيكية (المخارج /الصفات) الأصلية، ويعدّل فيها حسب مواقعها السياقية، بما يضمن له الانسجام الصوتي المطلوب، وذلك بتقريبه ومضارعته للأصوات المتباعدة والمتنافرة في النطق حتى لا يستثقلها لسانه، ولا تكلفه جهدا عضليا كبيرا.

PP. 207-228
ISSN : 1112-3575 EISSN : 6545-2600

6. خاتمة:

خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج نجملها على النحو الآتي:

– إن التبدلات الصوتية التي يحدثها السياق الصوتي في الأصوات النطعية الطاء والدال والتاء، هدفها تحقيق الانسجام والتآلف الصوتي بين الفونيمات عند مجاورتها لبعضها البعض، هذا من جهة، ومن جهة ثانية غايتها تخفيف النطق وتيسيره، والاقتصاد في الجهد العضلي، وهذا ما تميل إليه اللغة العربية بوصفها لغة الاقتصاد الكلامي؛

– تحدث هذه التغيرات على المستوى الفونتيكي فقط، ولا تؤدي إلى تغيير في وظيفة الكلمة ودلالتها، ومرد هذه التبدلات الصوتية سواء في الملمح الفيزيولوجي(المخرج) أو الفيزيائي(الصفة)، إلى ذلك التباين البيئي والاختلاف اللهجي في بيئات اللغة العربية المتعددة والمتباينة، كما يعزى إلى تلك الاعتلالات النطقية التي تتخلل السلسلة الكلامية بصفة دائمة أو مؤقتة؛

– وتعد هذه التبدلات الألوفونية تغيرات صوتية تركيبية تطرأ على الفونيمات النطعية حين تتصل ببعضها البعض أو ببعض الفونيمات من الفئات الأخرى، وتجتمع معها عن طريق المجاورة في كلمة واحدة، فهي مشروطة بإطار صوتي محدد وليس عاما يشمل كافة أسيقتها وظروفها اللغوية المختلفة؛

– تغلب على الأصوات النطعية المماثلة الرجعية، وهذا ما أبانت عنه الأمثلة عن تلك التبدلات الألوفونية لهذه الفونيمات مع ما يجاورها في السياق، ويخرج عن ذلك فونيم التاء في صيغة "افتعل" الذي تحدث فيه مماثلة رجعية وتقدمية مع أصوات الإطباق(ط/ظ/ص/ض) وصوت الزاي الصفيري كما في: ازدجر وازدهى.

7. قائمة المراجع:

– القرآن الكريم، رواية ورش.

المؤلفات:

– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط3 1961م.

– أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1413ه–1993م.

–أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت).

– أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح، عبد السلام محمد هارون، الناشر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط2 1402ه–1982م.

– أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية القاهرة، ط1، رجب 1417ه–نوفمبر 1996م.

– أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، (د.ط) 1418ه– 1997م.

– الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424ه– 2003م.

– رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، 1410ه–1990م.

– عاطف مدكور، علم اللغة بين القديم والحديث، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، (د.ط)، 1408ه–1987م.

– عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1418ه–1998م.

– مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، 1426ه–2005م.

– محمد الأنطاكي، المحيط في الأصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط3، (د.ت).

– محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، (د.ت).

المقالات:

– زكريا سليمان، مقاربة فونولوجية لأثر الوحدات الصوتية في مزية الكلام، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 11، العدد 2، 30–9–2019م.

8. هوامش:

[1]–عاطف مدكور، علم اللغة بين القديم والحديث، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، (د.ط)، 1408ه–1987م، ص109.

[2]–عاطف مدكور، المرجع نفسه، ص109.

[3]–أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت)، ج5 مادة (ن ط ع)، ص440.

[4]–مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، 1426ه–2005م، مادة(ن ط ع)، ص767.

[5]–الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424ه–2003م، ج1، ص42.

[6]–محمد الأنطاكي، المحيط في الأصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط3، (د.ت)، ج1، ص18.

[7]–إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط3 1961م، ص78.

[8]–أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، (د.ط) 1997م، 1418ه، ص378.

[9]– محمد الأنطاكي، المحيط في الأصوات العربية ونحوها وصرفها، ص23.

[10]– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 126.

[11]– –أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية القاهرة، ط1، رجب 1417ه–نوفمبر 1996م، ص142.

[12]–زكريا سليمان، مقاربة فونولوجية لأثر الوحدات الصوتية في مزية الكلام، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 11، العدد 2، 30|9|2019، ص70.

[13]–محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، (د.ت)، ج1، ص214–215.

[14]–ينظر: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح، عبد السلام محمد هارون، الناشر، مكتبة الخانجي القاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط2 1402ه–1982م، ج4، ص460.

[15]–رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، 1410ه–1990م، ص30.

[16]–سيبويه، الكتاب، ج4، ص461.

[17]–أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1413ه–1993م، ج1، ص188.

[18]– سيبويه، الكتاب، ج4، ص460.

[19]– المصدر نفسه، ج4، ص460.

[20]–المصدر نفسه، ج4، ص462–463.

[21]–المصدر نفسه، ج4، ص465.

[22]– المصدر نفسه، ج4، ص466.

[23]–ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، 185–186.

[24]–عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط1، 1418ه–1998م، ص287.

[25]– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص154–155.